

لقاء لمر يكتمل

بوفاتح سبفاق

لقاء لمر يكتمل

مجموعه قصصية



© منشورات الحبر - بني مسوس - الجزائر

ردم.ك. : 5-43-514-9931-978

الإيداع القانوني : 2015-509

حقوق الطبع محفوظة

إهداء

إلى روح والدي سبفاق العيد رحمه الله.

تتم

هنا مجموعة قصصية من حوالي أربعين قصة متخمة بالحياة، ورغم أن القارئ سيواجه الكثير من التفاصيل المؤلمة التي تغلف بلادة الحياة المسروقة منا أحيانا ؛ غير أنه سيكون سعيدا وهو يكتشف أن سباق يسخر من الوضع برمته، من السلطة بشكلها المطلق، من السلطة السياسية والأمنية والعسكرية، ومن سلطة مواقع التواصل الاجتماعي ومن سلطة الرغبات ومن سلطة الشيطان أيضا.

وليس من الصدفة أن يقترح علينا قصة "قبل انتهاء العمر" لتكون نوعا من الاستقطاب والتحفيز، فهي قصة تنتهي بسحرية بالغة عندما يعثر محمود على صديقه القديم سمير وينتشله - أو يعده بذلك - من بؤسه المعمّر، كأنه أراد بهذه القصة أن يعتذر عن البقية التي تنتمي إلى الواقعيّ.

هناك حسّ سياسيّ عال لدى الكاتب وأعتقد أنه لولا الكتابة لكان محللاً سياسياً، فسبقاً خصّ الممارسة السياسية والسلطة بجزء مهم من قصصه، فسخر من النضال المزيف في "مناضل تحت الطلب"، أين نجد رجل أعمال فاسد يسعى لتأسيس لجنة مساندة ما ليرتقي سياسياً، وعرّى وجه الرؤساء الذين يقفون على رخام هشّ في "الساعات الأخيرة للرئيس" الذي يواجه نهايته، ولعله رئيس جيء به أو تسلّق، كما نقرأ لاحقاً في قصة "رئيس من الأرشيف" والتي تصف في عجالة مفهوم خادم السلطة وليس "رجل الدول"؛ هذا الأخير كان بطل قصة بالعنوان ذاته في المجموعة، وهو نموذج كئيب للخادم الأعمى الذي لا تهمّه الدولة بقدر وضعه في المنظومة الحاكمة، فهو يقبل بأيّ تكليف مهما كان قدراً أو مشيناً.

إن بوفاتح المليء بروح النقد لا يعطف على أحد سوى القارئ - المواطن، لهذا فليس غريباً أن يشعر المتلقي لقصصه أنها أقرب إلى يوميات نتشارك فيها، وهو وان كان مهموماً بالسياسة فإن بعداً آخر يحكم أجواءه بيد لينة؛ إنه الحبّ الحاضر كظلّ لمجموعته كلها،

الحبّ الذي يعمّر في دواخلنا بعد سنوات وان لم نلتق
"لقاء لم يكتمل"، والذي يسكن قلب العاشق المهجور
في "القرار الأخير" و"الوداع الأخير"، ففي قصة "حبّ
فايسبوكي" يذعن الكاتب لبطلته التي تعيش في عالم
افتراضي وتتأى عن الواقع، ويجد لها عاشقا صادقا
وحقيقيا ينقذها من هذيان الفاييس بوك.

ولأن مجتمعات التواصل الاجتماعي أصبحت حياة
موازية يكتب سباق عن تدرجات هذا العالم، عن
زيفه، عن ضرورته، فيكتب واحدة من أجمل قصصه
"الزّعيم يريد أن يغردّ" عن السياسي الذي يسعى إلى
مسايرة تطور الاتصال، ويطلب من معاونه أن ينشئ له
حسابا على التويتر الذي يجهله، لكنه في النهاية يريد
أن يغردّ مع عاشقته، ويترك تغريدات التويتر لمعاونه.

في مجموعة "لقاء لم يكتمل" عالم يعرفه الجميع
وينسأه أغلبهم، عالم نلتقيه كلّ يوم، عن إنسان
متداول مثل كافة البسطاء، فبطل قصّته "الشبكة"
ذكيّ بما يكفي، لكن ذكائه لم يجعل منه بطلا
لقصّة "رجل دولة" بل اكتفى بمنصبه بالبلدية، هؤلاء
الذين يقترب منهم سباق ويدفعنا بلطف لنلج معه

عوالمهم ؛ هم ذاتهم نحن في صور متعددة، ألا تثيرنا
الأسئلة ذاتها ؟

سببنا ليس فقط قاصا وروائيا صادقا، هو أيضا
متأمل للوضع، وعض أن يكون كاتباً سياسياً ويحرق
أعصابه بالتحليل التي لا يقرأ عناوينها إلا المهتمين،
اختر أن يستلهم السياسة بكثافة في مسار هذا اللقاء
المكتمل.

من أيضا ما زال يتهتم بالقصة القصيرة في الجزائر
والعالم العربي ؟ لقد قضى عليها كتابها أنفسهم،
وليس الشعر وحده من يشكو سطوة الرواية فالقصة
القصيرة أيضا هجرها كتابها، بعضهم إلى الرواية
والبعض إلى الصمت، لأجل هذا وجب أن نقول لفتاح
شكرا على هدية الموسم اللذيذة، كما وجب أن نقول
للقارئ المتمرس إنها مجموعة سهلة التصنيف، تقرأ على
أكثر من مستوى، من أراد اكتفى بالحكاية السريعة
وأقل الكتاب، ومن شاء فهناك مواقف ونقد ورؤى
وحرقة مشتركة يعيشها الجزائري وتستثمر بصدق
وجمال لدى بوفاتح سببنا.

إسماعيل بيري

قبل انتهاء العم

دخل المقهى وجهٌ جديدٌ عليه علامة الثراء والرّفاهية
عكس صاحبنا. ربّما يشكو الوافد الغريب انعدامَ
المشاكل لديه.

اقترب من طاولته بكلّ ثقة مبتسماً :

– محمود ؟ يا لها من مفاجأة ! لم نلتقِ منذ سنوات
الجامعة !

نهض من مكانه واحتضن صديق الماضي بكل
شوق :

– أهلا سمير ! لم أكن أعرف أنك ما زلت على قيد
الحياة. كيف حالك يا رجل ؟

– بخير يا صديقي القديم. كما تعرف، واصلت
دراستي بالخارج في اختصاص الجراحة بجامعة روسية
شهيرة، والآن لديّ عيادة جراحة خاصة بالعاصمة وجئت
أمس لزيارة والدتي واليوم قلت : أزور مقهى الحيّ، أملا
في لقاء أصدقاء قدامى وها أنا أجدك !

- مرحبا بك. سعيد جدا بلقائك وأسعدني أكثر
نجاحك الباهر!

- وأنت أين وصلت ؟ وهل فتحت مكتب المحاماة
الذي كنت تحلم به ؟

- أبدا عزيزي ! لم يتغير شيء منذ تخرجي وأنا
أعاني البطالة. وجدت كل الأبواب أمامي موصدة.

- أظنني جنّت في الوقت المناسب لأغير مسار حياتك.
سأجعلك تحلّ كل مشاكلك في لمح البصر...

- هل لديك بعض المعارف لتساعدني في الحصول
على وظيفة ملائمة ؟

- أي وظيفة يا رجل ؟! لديّ حلّ سحريّ هائل سيغير
حياتك ويجعلك أسعدَ رجل في العالم !

- من فضلك سمير ! ليس لدي القدرة على
الاستيعاب ! لست "أليس" ولسنا في بلاد العجائب !

نهض سمير وتأمّل صديقه بكلّ حبّ ووضع يدهُ في
جيبه وأعطاه بطاقةَ زيارة.

- خذ، هذه بطاقتي. المقهى ليس مكانا ملائما
للحديث عن اللّحظات التاريخية الكبيرة. أنتظر زيارتك

لي في العاصمة وسأشرح لك كل شيء. يوم الأحد
القادم سيكون ملائماً لي، ما رأيك ؟

- موافق طبعاً وكلّ أيامي رهن يومك صديقي.
سأكون عندك في الوقت المحدد.

- اتفقنا صديقي، مع السلامة.

- سأكون عندك... سلام.

خرج سمير في لمح البصر وبقي محمود ساكناً لا
يصدق ما سمعه وما رآه : صديق قادم من بعيد يظهرُ
فجأةً ويعدُّ بالكثير ! هل هو حلم أم خيال ؟ يدركُ جيّداً
أنّه في مقهى الحيّ والسّاعة قاربت منتصف النهار. إنّ
صديقه سمير ظهر بكلّ تأكيد في الوقت المناسب
لينقذه من حافة البوار.

دفع ما عليه وخرج بكلّ تفاؤل وفرح. لأوّل مرّة ومنذ
فترة طويلةٍ يحدثُ له انتعاش جميل وأمل بالحياة. أدرك
أنّ فرصة العمر جاءتّه في الوقت المناسب قبل انتهاء
العمر.

الوداع الأخير

« فترة خِطْبَتِنَا دخلت عامها الرابع. لن أنتظرِكَ العمر كله ! السنوات تمضي وأسرَتِي مستاءةٌ جدًّا من حالي وتهدّدُ بفسخ ما بيننا ومنحي على طبق متواضع لأيّ خاطب جديد ! »

يدرك جيّدًا أنها على حقّ، لقد استهلك كلّ مفردات العشق والحبّ والحكايات الرومانسية وكم من مرة كاد يقع معها في المحذور. هي امرأة وإن طالّت الأيام ستفقّد الكثير من أسهمها في بورصة النساء. حتى وإن استطاع زواجها فليس له سكن يأويه. بيت العائلة بالكاد يسع أفرادَه وليس بمقدوره حتى تحمّل ضيف عابر فما بالك بأسرة إضافية !

لو كان رجلا تحرّكه الغريزة فقط لأمضى معها أيّامًا أو شهورًا من الأكاذيب يتمتع بها في حدود ما هو ممكن. ولكنه يحبها ولهذا قرّر أن يتركها عن قناعة تامة ؛ ربما تجد من يسعدها فعليا وليس بالكلام فقط.

نظر إليها بكل أسى وتأملها لآخر مرة قائلاً :
« أنت محقة لم يعد ثمة ضرورة لبقائنا مع بعض...
الوداع. »
لم تقل شيئاً. نهضت بسرعة تذرِف الدموع فالموقف لم
يعد يسمح بأي كلام.

بقي وحده في المكان يراجع كل تاريخه معها :
اللقاء الأول والحكايات والذكريات الجميلة... فجأة
أصبحت من الماضي.

فتاة أخرى عند مدخل القاعة تنتظر إليه بكل
اهتمام، ترسل إليه برقيات حب عاجلة، ولكنه رفض
استقبالها. كان يدرك بأنه مقبرة أبدية لكل قصص
الغرام والحب.

دفع ما عليه وخرج بكل حزن يحمل في طياته قراراً
واحداً تاريخياً يتمثل في تجميد كل مخططاته العاطفية
إلى زمن آخر.

الشبكة

عدت إلى بيتي حاملاً أكياساً سوداء مملوءة بمختلف الأغراض المنزلية، مشيتي وشكلي ومشترياتي توحى جميعها بأنني موظف مثل كل الموظفين الذين يملؤون البلاد ويتأثرون بأي تأخر مفاجئ للأجرة الشهرية.

أسكن حياً شعبياً يعجُّ بالبطالين من مختلف الأعمار والمؤهلات. ألتقي بهم كل صباح ومساءً ولفرط إحساسي بمعاناتهم، أصبحت أستحي منهم وأنا أدخل إلى بيتي بتلك الأكياس السوداء. جميعهم أناس طيبون ولكنهم يائسون بسبب التهميش والعيش على حافة الحياة. قطار العمر يسير وهم قابعون ينتظرون صافرة انطلاقه الفعلية.

كانت كل المؤشرات تدلّ على أنّ قطار حياتي سيواصل مسيره بالرتابة والروتين نفسيهما. ولكن ما إن دخلت بيتي حتى فوجئت بتوقّف له غير متوقع.

- ماذا حدث ؟ لم تجتمعوا في غرفة الضيوف منذ العيد الماضي ! مالي أرى الحزن يكتنف وجوهكم ؟
- لقد جاء رجل أمن يبحث عنك وترك لك هذا الاستدعاء ويقول بأنه يجب أن تذهب إليهم في أسرع وقت.

- عادي جداً.ربما الأمر يتعلق بتحقيق إداري ما.
- ومنذ متى يوزع رجال الأمن الأزهار على بيوت المواطنين ؟

- يجب أن نكون موضوعيين. رجل الأمن مواطن عادي مثلنا جميعاً. لديه أسرة وأطفال ويعيش معنا في هذا الوطن ويتأثر بغلاء المعيشة وتقلبات الطقس مثلنا.
بالرغم من تلك الكلمات المُطمِئِنَاتِ التي أودعتها في نفوس أفراد أسرتي، فإنني تناولت الغداء والتساؤلات تتصارع في ذهني : ماذا يريدون مني ؟ لم ارتكب أي خطأ طوال حياتي وليس لدي أي مشاكل مع أي كان. قد يكون الأمر تحقيقاً إدارياً كما أردتُ إيهام أسرتي بذلك. ربما ثمة ترقية في الأفق لم أسمع بها بعد.

دخلت مبنى الهيئة الأمنية وكلّي تفاؤل. بعد دقائق، وجدت نفسي في مكتب صغير يحوي أثاثاً متواضعاً في حين كانت صورة الرئيس تتوسّط الجدار مُضْفِيَةً على المكان نوعاً من المهابة، وأحسست بأنني تحت الرعاية السامية لفخامته.

نظر الرجل إليّ ملياً وقرأ الاستدعاء من جديد ولم ينبس ببنت شفةٍ ثمّ رفع سماعة الهاتف :

– لقد حضر برجليه. تعالوا بسرعة إنه عندي !

ما إن سمعت هذه الجملة حتى هرب التفاؤل وحلّ التشاؤم الذي يحمل في طياته السقوط في الهاوية.

– هل ثمّة مشكل سيدي ؟

نهض من مكتبه ودار حوله واقترب مني وجلس قبّالتي وتفرّس في وجهي ملياً. خُيّل لي بأنه سيقول :

« وأخيراً قبضنا عليك أنت الذي لم تتوقف أمام الضوء الأحمر في وسط المدينة أمس ! »

وكنت بصدد تحضير الإجابة التالية :

« ليس لي سيارة أصلاً ! »

لكن الرَّجل لم يقل شيئاً ونهض من جديد. وبعد لحظات، دخل أربعة رجال دفعة واحدة وأحاطوا بي. شكلهم يوحي بأنهم أبطال فيلم "الهروب من الجحيم" ... ولكنني تمالكت ما تبقى من أعصابي وقلت :

– هل من خدمة أقدمها لكم ؟ أظن أن ثمة خطأ في

الاستدعاء !

– هل أنت صالح بن علي ؟

– نعم...

– من مواليد 1965 وابن عبد القادر ؟

– نعم.

– تعمل في البلدية ؟

– نعم.

– هل أنت عضو في الشبكة ؟

دارت في ذهني شبكات عدة : شبكة التهريب والتزوير والإرهاب وربما شبكة الهاتف النقال.

– عن أي شبكة تتحدثون ؟ ربما تقصدون الشبكة الاجتماعية بالبلدية ؟ فعلاً لقد أشرفتُ على تسيير هذه المصلحة سابقاً، ولكنَّ كلَّ الأمور كانت قانونية

وتمّت بكلّ شفافية ويمكنكم التأكّد من ذلك مع
رئيس البلدية.

– نحن نتكلّم عن شبكة دعم للإرهاب ومساندة له
تتّمي إليها. لا تتكر الأمر لدينا كلّ الأدلة !

– هذه تهمة كبيرة في زمن الوباء والمصالحة ! أنا
مواطن عادي وكل أهل المدينة يعرفونني. ربما هناك
خلل في معلوماتكم.

– ومن أنت حتى تشكّك في معلوماتنا ؟ لدينا رجال
يعملون في الخفاء وفي وضوح النهار !

تأمّلت المجموعة الصوتية المحيطة بي والتي كانت
تعزف أسوأ مقطوعة سمعتها في حياتي. تذكّرت اللقطة
الشهيرة في الأفلام المصرية التي عادة ما يطلب فيها
المتهمّ الاتصال بمحاميه الخاص، ولكنني كنت بعيداً
كلّ البعد عن هذا السيناريو فليس لديّ حتى رقم
هاتف بواب المحكمة. وحتى لو تسنى لي المحامي
الخاص، أشكّ بأنّ هذه الوجوه المرعبة ستسمح لي حتى
بطلب كوب من الماء !

غريب هذا الموقف : يقولون بأنهم يملكون شبكة
معلومات قوية ويتهمونني بالعضوية في شبكة مساندة !

يبدو أنني وقعت فعلاً في شبكة الصياد. نحن في زمن العولة والشبكات. لو قبض على المرء في شبكة أوربية لربما كانت المعاملة أفضل وحقوق الإنسان أكثر ضماناً.

– هل تعرف مسعود سالم ؟

– الاسم ليس غريباً عني... آه تذكرت ! لقد تعرّفت إليه أثناء تأدية واجب الخدمة الوطنية ولم أره منذ سنوات عدّة. هل يبحث عنه ذووه ؟

– إنه إرهابي تم القبض عليه خلال الحملة الأخيرة التي شنتها الأسلاك الأمنية المشتركة على معازل الإرهابيين.

– وما ذنبي أنا إذا كان شخص عرفته منذ أكثر من عشر سنوات التحق بصفوف الإرهاب ؟ حتى العائلة الواحدة لا يمكن تجريمها إذا انحرف أحد أفرادها !

– كفاك من هذه الخطب الرنانة وموعد الحملة الانتخابية مازال بعيداً ! بكل بساطة، لقد وجدنا رقم هاتفك الشخصي في المذكرة التي كان يحملها صديقك حين تم القبض عليه.

اقترب مني كبير المستنطقين :

– هذا الرقم، ألا تعرفه ؟

– نعم، ولكن ما ذنبني إذا كان من عرفته خلال
الخدمة الوطنية قد تغيرت قناعاته ؟ لقد كان رجلا
طيبا ومسالما.

– كفاك دفاعا عنه ! لقد تم القبض عليه ورمك
في الجحيم !
أضاف أحدهم :

– لقد سقطت في الشبكة يا لئيم !
هذا الأخير لم يتكلم مطلقاً وكان يبدو أطيبيهم.
ولكن عندما يقع المرء بين أنياب الأسد لا ينتظر
الحصول على نقطة نظام.

– من فضلكم أنا مواطن شريف وحقوقي مصونة
حسب الدستور.

اقترب كبير المستطقين من النافذة ودار في الغرفة
وكأنه يعرض أزياء القمعية وانتصب أمامي وصرخ في
وجهي :

– لا تعرف عن الدستور سوى حقوقك ! وأين
واجباتك كمواطن ؟ يبدو أن الحسّ المدني لديك

منعدم ! المهم أنك تعترف بأنك أعطيته رقمك الهاتفي من أجل الاتصال والتسييق.

- ألا يوجد فيكم من ينصفي ؟ لقد أعطيته رقم هاتفي قبل العشرية السوداء. ومن كان يتوقع أن يحدث كل هذا ببلادنا ؟

- نحن لسنا في حصة تلوين يا هذا. نحن الآن في العشرية الصفراء !

امتلات الغرفة ضحكاً. يبدو أنهم لا يعرفون حتى معنى العشرية.

- المهم أنك تعترف بعلاقتك به وتواصلك الدائم معه.
- لم ارتكب أي خطأ حتى أعترف. أنتم مثلاً، أليس لديكم معارف وأصدقاء عبر كل التراب الوطني ؟ ألا يحدث أن تعطوا لبعضهم أرقام هواتفكم ؟ أنتم الآن معي، هل تعرفون ماذا يفعل هؤلاء في هذا الحين ؟ وهل تتحملون كل أخطائهم ؟

- نحن من يحقق معك ولست أنت من يطرح علينا الأسئلة ! لحد الساعة ما زلنا نعاملك بكل احترام وهذا لأنه وصلتنا معلومات عنك تقول بأنك مثقف.

« وما الذي يثبت أنك لم تلتق بصديقك قبل أيام من القبض عليه ؟ »

« لاحظ الرقم المكتوب في المذكرة جيدا . »

« رقمك الهاتفي الشخصي وأنت اعترفت بذلك. »

أضحى الأمر مسرحية مقرفة أبطالها معروفون ومخرجها معروف وأصبحت أنا الجمهور الذي يتعين عليه التصفيق، ولكنني سرعان ما استدركت الموقف :

- ولكن الأرقام الأولى مختلفة الآن. لقد أعطيته رقمي الهاتفي حسب الشبكة الهاتفية القديمة التي كانت مستعملة سابقاً وهذا يدل على أنني لم ألتق به منذ سنوات عدة.

- استنتاج فيه شيء من المنطق. لديك قدرات لا يستهان بها في ربط الأمور ببعضها. لديك موهبة مغمورة يمكن الاستعانة بها للقضاء على أعداء الوطن.

- ربما اعتبر هذا دليلاً لإبعاد الشكوك عنك ولو مؤقتاً.

- لم أفعل شيئاً لأخفيه ويمكنكم مواصلة
تحقيقكم.

- لقد أنقذتك الشبكة الهاتفية يا مثقف !

قالها بكثير من التهكم. أضاف كبير المحاورين :

- يمكنك الانصراف. من الواضح أنك مواطن نزيه.

لن نزعجك بعد اليوم.

خرجت من عندهم وأحسست بأنني عدت إلى الحياة
من جديد وكدت أتحوّل إلى مجرد ملف يضاف إلى
العشرية السوداء. ونظراً للإرهاق الفكري الذي وصلت
إليه، قرّرت التوجه مباشرة إلى البيت لأرتاح وأزف إليهم
الخبر السعيد بأنني والحمد لله مواطن لا ينتمي إلى أية
شبكة. وفيما أنا تائه وسط شبكتي الفكرية، إذا
بأحدهم يناديني. خلته لأول وهلة واحداً من المجموعة
الصوتية المقرفة يطلبني من جديد لإسماعي أغنية
اضطهادية جديدة، ولكنني عندما استدرت، عرفت
بأن الأمر يتعلق بأغنية بدوية أصيلة. إنه أحد معارفي
القدامي اقترب مني وهو يتصور بأنني في قمة السعادة :

- لقد ذهبت إلى البلدية ولم أجدك.

- مرحباً، هل من خطاب ؟

– متى تعلنون عن قائمة السكنات الاجتماعية ؟

– يعلنون... القائمة مازالت على مكتب رئيس البلدية وليست لي علاقة بالموضوع، ولكن أعتقد أن الأمر لن يطول أكثر.

– أعطني رقم هاتفك المنزلي لأتصل بك من حين لآخر. أنت تعرف بأني أسكن بعيداً عن المدينة.

نظرت إليه ملياً : هل يحافظ على قناعاته ؟ لا يمكنني المجازفة.

– هاتفني المنزلي معطل منذ شهر. يمكنك الاتصال بي على رقم البلدية.

دخلت البيت ووجدت الجميع ينتظر في غرفة الضيوف التي عاد إليها كثير من البريق هذا اليوم. وما إن أخبرتهم بسلامتي وأن الأمر مجرد تشابه أسماء كي لا أثير مخاوفهم، حتى غادروا الغرفة وتركوها خاوية على عروشها.

عادت الطمأنينة والسكينة إلى البيت، وواصل قطار حياتي مساره بكل رتابة وروتين، وجلست أمام التلفاز محاولاً السَّبْحَ في عالم الأحلام من أجل تناسي الواقع الأليم الذي عشته. وفيما أنا أتابع فيلم السهرة،

إذا إعلانٌ إشهاري يظهر فجأة يتحدث عن شبكة
"أوربيت" وقنواتها الفضائية المميزة فغيّرت المحطّة
مباشرة لأنه أصبحت لدي حساسية مفرطة من
الشبكات.

مناضل تحت الطلب

- يا عزيزي، لا يوجد أي تنظيم يتحرك من أجل أهداف نبيلة !

- وكيف السبيل إلى ركوب الموجة الجديدة ؟

- ابحث عن شعب في دولة ما لم تُنشأ من أجله لجنة مساندة وهكذا ستُحقّق أرباحاً طائلة تفوق تلك التي تجنيها من عملك في بناء العمارات التي تنهار من حين لآخر على ساكنيها.

- والكارثة التي أحدثتها العام الماضي بمنتوجاتك

الغذائية الفاسدة، هل نسيته يا عبقرى زمانه ؟

- مجرد إشاعات وأقوال جرائد والتحقيق لم يثبت

شيئاً.

خرج السيد منير من مكتب زميله في النضال. أصبح

مقتنعاً أكثر بجدوى فكرته : إنشاء جمعية من أجل

استعمالها كسلم للانتقال إلى الطبقة المخملية. لديه

المال والمعارف ومستوى تعليمي مقبول يسمح له بالتفريق بين الذي والتي.

قضى صاحبنا أياما وهو يعد الوثائق الضرورية من أجل وضع الملف لدى الجهات المختصة. ولم يفكر بتسمية الجمعية أو أهدافها تاركا الأمر لآخر لحظة. وفي آخر جولاته توجه الى المحكمة :

– مرحبا، هل من خدمة ؟

– جئت من أجل استلام بطاقة السوابق القضائية. لقد دفعت الوثائق اللازمة أمس.

– انتظر هنا لحظات، سوف أحضرها لك من المكتب المجاور.

جلس السيد منير في مكانه فخورا بهذا الموظف الرائع الذي تكفل بطلبه. رجل أعمال كبير في هذه المدينة الصغيرة يكون حتما محط اهتمام الجميع...

أخذ يتأمل مرتادي المكان : هذه امرأة تحمل ملامحها قهر الأيام وظلم الرجال. ربما هي ضحية رجل متعسف. وهذا شيخ طاعن في السن ينتقل من موظف إلى آخر. يبدو من خلال حديثه معهم بأنه من عشاق القضايا والمحاكم وبأنه يفضل دائما عدم صدور

الأحكام القضائية النهائية حتى يضمن مبررَ بقائه في الحياة.

ما زال ينتظر استلام بطاقة السوابق القضائية التي ستصدر بدون شك بيضاء ناصعة تعكس مدى احترامه للبلاد والعباد. الوثيقة المطلوبة في ملف الاعتماد ولن يبقى له سوى التفكير في أهداف الجمعية وتسميتها. لقد اشتغل في كلّ الميادين وحقّق نجاحات مالية كبيرة على كلّ الأصعدة، ولكنه كمناضل يتماشى مع مستجدّات العولمة لن يجد صعوبة في إبراز قدرته النضالية التي لا يشك فيها أحد.

جمعية مساندة الشعب الفلسطيني موجودة منذ سنوات... كلّ الشعوب العربية المقهورة تأسّست من أجلها لجان مساندة... الشعب العراقي تم التكفل بقضيته من طرف بعض المتسلقين والقضية الصحراوية وجدت من يتبناها وصاحبنا كمتسلق جديد لم يجد شعبا في هذا الكون بحاجة إلى مساعدته.

دخل أعوان الشرطة يجرون شابا نحو قاعة المحكمة. في ظلّ هذه الأزمة الاقتصادية الخانقة أضحى السطو على أملاك الآخرين هو السبيل الوحيد

للعيش. وفجأة سطعت في ذهنه فكرة رائعة. نعم
وجدها : الشعب الصومالي بحاجة إلى لجنة مساندة
فالصومال دولة عربية وإن تجاهل الكثيرون ذلك. لم
يسبق له أن سمع خبراً يتحدث عن لجنة مساندة الشعب
الصومالي. إنها جمعيتها التي سوف ترى النور بعد أيام.
كيف غاب عن ذهنه هذا الشعب المسكين ؟

وفيما كان منشغلاً بمهامه المستقبلية، وقف أمامه
الموظف السابق عابسا. كان ينظر إليه بطريقة قاسية لا
تدل على أنه يعرف السيد منير، في حين وقف شرطيان
متأهبان على جانبيه :

– لقد صدر في حقك حكم قضائي غيابي.

صعق منير في مكانه لهول المفاجأة :

– لا بد وأن هناك خطأ ما أو تشابه أسماء !

– كل بياناتك عندنا. لقد أصدرت صكاً بدون

رصيد أيها المقاول الهارب من العدالة... هيا... خذوه !

بدت علامات الخوف والقلق على وجهه ونهض معهم

وأدرك بأنه وقع في شر أعماله، هل يخبرهم بأنه رئيس

لجنة مساندة الشعب الصومالي التي لم تنشأ بعد ؟

ما إن ركب سيارة الشرطة حتى تمنى أن ينشئ
المواطنون النزهاء في هذه البلاد لجنة لمساندة قضيته،
لكنه سرعان ما أدرك بأنه لا يملك رصيда في قلوب
الناس ولا رصيда في البنك.

الساعات الأخيرة للرئيس

الأخبار تتوالى على القصر الرئاسي : الاعتصامات في كلّ الميادين الاستراتيجية الرئيس في ركن من مكتبه، قد وضع جريدته أمامه ومن حين لآخر يشطب كلمة. إنها هوايته المفضلة البحث عن كلمة السر. وأين له أن يجد هذه الكلمة في ظل واقع البلد الذي أضحت أسراره ظاهرة للعيان ؟ اختلاسات كبار السلطة أضحت حديث العام والخاص والجرائد تتحدّث عنها كل يوم. المواطن المعدم يدفع دنائره ليقتني جريدة يومية فلا يجد فيها سوى رائحة المال العام المنهوب تطغى على كلّ الصفحات. أرقام فلكية هنا وهناك بالملايير، ولكن من يسرق دجاجة يودع السجن ومن يستولي على الملايير أقصى عقوبة له أن يعيش في الخارج يتنعم بأموال الشعب المغلوب على أمره.

فجأة، دخل مدير الأمن الرئاسي مسرعا :

« سيدي، الوضع جد خطير، إنهم يقتربون من
القصر الرئاسي... »

نهض الرئيس من مكانه بكل تناقل يجر ثقل
السنين. ثلاثون سنة في الحكم جعلته يتأقلم مع كل
الظروف، ولكنه يحسّ في هذه المرة بأن النهاية أضحت
قريبة. إنه شعب جديد يختلف عن ذلك الشعب الذي ظلّ
صامتا سنوات. كان يملك ناسا كلهم طيبة وإخلاص
ووفاء دائم له ولأركان حكمه. أما اليوم فإنه زمن
الفضائيات والفايس بوك وغيرها من وسائل الإعلام.

- يتعين على كل الأسلاك الأمنية أن تحمي القصر
الرئاسي. إنه رمز سيادة. ولا تنس أن التغيير يبدأ من
هنا. ويجب إعطاء تعليمات بحراسة جيدة للإذاعة.

- لكن يا سيدي، حتى مقر التلفزيون مهمّ ! أما
بخصوص الإذاعة فهناك إذاعة في كل مدينة اليوم.

- يجب إيقاف بث المحطات الإذاعية الصغيرة
والاكتفاء بإذاعة واحدة تكون تحت سلطتنا.

- وماذا عن القنوات الفضائية ؟ كلها معادية لنا.

- أليس لديك طريقة لإيقاف بثها أيضا ؟ إنها مصدر

إزعاج كبير...

- إنها تبث عبر عدة أقمار صناعية وتتحكم فيها شركات تجارية فلا يمكن أن تخضع لنا.

- أليس بيننا وبين الدول التي توجد فيها هذه الشركات اتفاقيات؟

- الأمر صعب في هذه الظروف. وهناك بعض الأنظمة تؤيد المعارضة ضدنا. ولا تتس أن الأنترنت عدونا الأكبر.

- ألا يمكن إيقافه هو الآخر؟ غريب هذا الزمن! في السنوات الأولى التي إعتليت فيها سدة الحكم، كنت أتخلص من أيّ صوت معارض في أربع وعشرين ساعة. أما اليوم، كثر الأعداء ولا أرى أحدا. كلّها وسائل إعلام وإزعاج افتراضي. بالفعل، إنها أصعب أنواع المعارضة التي شاهدتها في حياتي، ولكن أخبرني كيف يصل الأنترنت إلى بيوت الناس؟

- يصل الى بلدنا عن طريق "كابلات" تحت البحر من أوروبا.

- اقطعوا "كابلات" المصائب وقولوا للشعب أنّ أسماك القرش هي السبب.

- فكرة جهنمية سيدي! سنفعل ذلك.

- والآن تابع ما يقع وأخبرني بكل جديد. وعليك أيضا بالتأكد من جاهزية كلّ الفرق المكلفة بخروجي المحتمل من هذا البلد اللعين.

- إطمئنْ سيدي كلهم رهن إشارتك : طائرة "الهيليكوبتر" جاهزة في باحة القصر والطائرة أيضا محركها يدور في المطار العسكري، بالإضافة إلى الباخرة الرئاسية على شاطئ إقامتك الخاصة وطبعا الفرق الأخرى الجاهزة عبر الحدود البرية. نحن جاهزون لكل الاحتمالات.

- نشرات الأخبار المختلفة الحكومية يجب أن تركز على انعدام الأمن وتخويف المواطنين وأهمية دور الأسلاك الأمنية في الحفاظ على أمن الأشخاص والممتلكات، وطبعا لا بد من الإشارة إلى فزاعة الأيدي الأجنبية والعدوان الخارجي فهي صالحة دائما في مثل هذه الأزمات ؛ مع أنه في هذا الوقت لم تعد الدول الكبرى تتدخل مباشرة، أيام زمان، كانت الإمبريالية مشجبا مميّزا تعلق عليه كلّ الأزمات ويقضى به على كل المعارضين.

- إنه زمن الأنترنت والفايس بوك سيدي. ثورات في كل مكان وكلّ مواطن صعلوك يحمل معه هاتفنا نقالا بكاميرا يوثق به ما يشاهده ثم يضعه مباشرة على مواقع الأنترنت ومنه يُسْتَعْلَمُ مباشرة من طرف الفضائيات المعادية لنا.

بقي الرئيس صامتا يطلّ من نافذة القصر الرئاسي على جموع الجماهير الغاضبة، إنهم مجرد أوباش يريدون تغيير التاريخ ولن ينجحوا. التاريخ يكتبه العظماء ولا يخربشه الأوغاد !

خرج مدير الأمن الرئاسي مسرعا ليطبق تعليمات الرئيس كلّها، ولكن في ذهنه أيضا مخطط للهروب. أركان السلطة كلّهم لديهم مخططاتهم الخاصة. سفينة الحكم ليست سفينة نوح وستغرق بكلّ تأكيد والذكي من يفكر في إنقاذ نفسه قبل فوات الأوان. الشعوب حين تنتفض غالبا ما تجعل نهاية الزعماء وأتباعهم دموية إمّا بواسطة المشانق أو السحل في الطرقات.

ثلاثون سنة في الحكم مرّت وكأنها أيام. ما زال لديه الكثير من الأفكار والبرامج يريد أن يحققها لهذا

الشعب المسكين فهو مقتنع بأنه حاول أن ينقل كل برامج التحضر من الخارج، ولكن ذهنية الناس ما زالت متخلفة والآن يطالبون بالديمقراطية والتداول على السلطة. إنهم ضحايا القنوات الفضائية والثورات المزيفة. يعرف أن الخراب سيكون مصير هذه البلاد إذا رحل. نمط تسييره هو الذي حافظ على كيان الدولة واستمراريتها.

اقترب الرئيس من مكتبه متثاقلا، سيقوم بإجراء مجموعة من الاتصالات الهاتفية مع مختلف الرؤساء الذين يعانون هذه الثورات الغربية أيضا. لا شك أنها مؤامرة خارجية كبرى تهدف إلى زعزعة الاستقرار والاستيلاء على منابع النفط العربي. لقد قضوا على الدب الروسي ويريدون الآن تركيع الجمل العربي. أعجبه أفكاره كثيرا. إذا ما تسنى له الوقت سيتصل بقناة الجزيرة الفضائية ويقدم نفسه بصفة محلل استراتيجي. وإن تعذر ذلك سيقدم نفسه بصفة شاهد عيان وما أكثرهم في هذه الأيام!

أنهى اتصالاته في دقائق وأدرك من خلال ما سمعه من مختلف الرؤساء والزعماء أن الأزمة شاملة والمؤامرة

كبيرة، السيناريو نفسه في كل بلد : شباب ومظاهرات ومسيرات واحتجاجات ويوتوب وفيس بوك وفضائيات والنهايات متقاربة : إما تح أو هروب. بالنسبة إليه، كل الفرضيات ممكنة فالفوضى مضى عليها أكثر من شهر ولا دليل على توقفها فمن الأحسن أن يستفيد من تجارب الرؤساء الآخرين. لا يلدغ رئيس من جحر مرتين. بقاؤه في البلد مستبعد جداً ؛ فقد بلغه أن بعض المعارضين يطالبون بمحاكمته وإعدامه. هذا جزاءه بعد ما أفنى سنوات عمره في خدمة هذا الشعب ! البحث عن دولة صديقة تستضيفه أمر أكثر من عاجل ! الهروب حتمية، ولكن الأفضل أن يكون مبكراً حتى يستبق كل النهايات المؤلمة. وما أدراه ربما هناك في مكان ما من يخططون لانقلاب عسكري ضده فهو لا يضمن ولاءهم رغم أنه صاحب الفضل في كل نياشينهم.

نهض من مكتبه وتوجه إلى صالونه الخاص. جلس أمام شاشة التلفزيون المسطحة ليتابع ما يجري هنا وهناك. ما أكثر الفضائيات في هذا الزمن الملعون أغلبها إخبارية متخصصة. الشيطان يختبئ في التفاصيل

وهذه القنوات تتحالفُ مع كلِّ شياطين الكون من أجل الوصول إلى الخبر مع أنه رفض لأغلبها فتح مكاتب بالبلد. إلا أنها ما زالت تعتمد على مراسليها في الظلام وتصطاد كلَّ ما ينشر على مواقع الأنترنت. الجزيرة ما زالت عراب كلِّ الثورات بما تمتلكه من خبرة في نقل الخبر وخلطه بتوابل استفزازية فتقدمه كطبق مُغرٍ للمشاهدين. أضحت المحطة معروفة أكثر من قطرِ الدولة. إنها بكلِّ تأكيد أداة تحرك لفائدة عدة قوى خارجية. ما أثار انتباهه هو ظهور قنوات أخرى تابعة لدول أوروبية تبث باللّغة العربية وتهتم بالشأن العربي. إنها بالفعل مؤامرة كبرى دبّر لها في عدة ليالٍ. توقّف في جولته الفضائية عند قناة فنية تبث أغنية رومانسية مميزة : إنها ناسي عَجْرَم التي سحرته منذ أول ظهور لها. يتذكّر جيدا أنه أنشأ مهرجانا سنويا من أجل استضافتها في قصره. إنها نموذج الأنوثة المركزة حتّى إنّه لا يمكن لأية امرأة أن تنافسها.

وفجأة سُمع صراخ وفوضى ورسا ص في ردهة القصر. سارع إلى أخذ مسدسه واقترب أكثر من النافذة. لم يصدق ما كان يراه : غزا العسكر

المكان ! فُتِحَ باب المكتب بقوة ودخل مجموعة من
العساكر مدججين بكل أنواع الأسلحة.

- انتهت اللعبة أيها الرئيس ! من الآن، أنت الرئيس
السابق...

- من أنتم ؟ من أنتم ؟

تذكر الزعيم معمر القذافي في خطابه الشهير. لم
يكن يدري هل هو بصدد مواجهة جردان أم صقور ؟
تأمل وجوه الحركة الانقلابية جيدا : لم يكن يعرف
أي واحد منهم. من أين خرج هؤلاء الأوغاد ؟ استطاع أن
يلمح وسطهم مدير الأمن الرئاسي الذي بدت عليه
علامات الارتباك وهو يقترب من الرئيس.

- لا تستغرب ! رحيلك حتمية تاريخية لا مفر منها.
الشعب يريد تغيير النظام وأنت رمز هذا النظام كله...
لا تتس أن مجيئك إلى السلطة قبل ثلاثين سنة كان عن
طريق انقلاب.

- على كل كنت مستعدا لهذه النهاية أو غيرها.
اشؤونامي الثورات لا يمكنه أن يتوقف عند حدودنا.

تم اقتياد الرئيس السابق خارج القصر وطلقات
الرصاص تسمع في كل مكان. إنها فرحة مؤقتة

برحيله. لقد كان يدرك جيدا أن تحيته ستؤدي الى انهيار البلد وشيوع الفوضى والخراب. سيندمون على فترة حكمه بكل تأكيد، ولكن أكثر ما يزعجه أنه لا يعرف مصيره وسط هذه العساكر: هل سيتركونه يرحل أم هل سيتكفلون بإعدامه خارج نطاق القضاء؟ ركب معهم السيارة العسكرية وهو في قمة الانحدار النفسي. من القمة إلى ما تحت الحضيض! شيء واحد يجعله ربما سعيدا وحزينا في الوقت نفسه: سيكون هذا المساء مادة دسمة لكل الفضائيات الإخبارية وسيبحثون في الأرشيف للكشف عن مساره ونهايته. سيتحول إلى خبر رئيسي في دقائق ثم يتم دحرجته إلى شريط الأخبار ومن ثمّة يخرج من نادي الرؤساء إلى مزبلة التاريخ.

رجل دولة

رجل الدولة لا يستقيل بل تُسند إليه مهامٌ أخرى. ولكن، إلى حدّ الساعة، أصحاب القرار لم يتذكّروه. إنهم مشغولون بما يجري في العالم الخارجي. لقد تناسوا إطارا سامياً مميّزاً مثله. ارتشف ما تبقى من فنجان القهوة وتأمّل عناوين الصّحف. لا حديث عن أي تعديل حكومي مرتقب. حتى الجرائد المفرنسة لم تذكر أي خبرٍ مهمٍّ وهي التي اعتُبرت دوماً قريبة جداً من أصحاب الحلّ والربط. يتذكّر أوّل عهده بالمناصب حين كان يقرأ "الشروق" و"الخبر" وزاره رجل دولة محنك :

– لا تقرا الجرائد المعربة. لا فائدة ترحى منها !

فأجاب بكل استغراب :

– أراها جرائد محترفة وتتنقل أخبارا مهمة عن المدن

الداخلية وما يقع فيها وتحكي عن حال البلاد والعباد..

ضحك الرجل كثيرا :

- لا ألومك... ما زلت حديث العهد في نادي الكبار.
الجرائد المفرنسة هي المصدر الحقيقي لكل الأخبار.
دعك من أخبار المواطنين وشكاويهم التي لا تنتهي ! ما
ينفعك فعلا هي أخبار صالونات السياسة وما يفكر
فيه أصحاب القرار وهذه المعلومات لا تجدها سوى في
جرائدهم. الأنباء المثيرة يتم تسريبها إلى بيادقهم
الصحفية المفرنسة. الجرائد المعربة منشغلة فقط
بالتباكي على واقع المواطن.

كان دائما يتصرّف كرجل دولة. حتى التصريحات
التي كان يدلي بها للصحافة كانت في مجملها جوفاء
لا تحمل أية دلالة. كانت تسائر متطلبات المرحلة دائما.
وكان يحرص على ذكر الرئيس في أي تدخل. كيف
لا وهو ولي نعمته وسبب بلوغه أرقى المناصب؟! الرعاية
السامية لفخامته ترعاه أينما حل. يتذكرّ بحنين جارف
تلك السنوات الجميلة. كان يحاول دائما إقحام الرئيس
في أية مبادرة حتى وإن كانت بسيطة. كانت روح
فخامته حاضرة في كل جولاته عبر مدن البلاد. حتى
المواطنون الذين يهرعون لاستقباله كان يسحرهم
بكل ما يتعلق بالرئيس. فحين يخرجه مواطن صعلوك

في تجمع شعبي، كان يقحم الرئيس دون تردد وبأية طريقة حتى يطأطئ الرجل رأسه. ومن يجرؤ على تحدي صاحب الفخامة في حضور الأعيان ورجال الأمن ؟!

كل ما يتمناه أن يكون اسمه واردا في التعديل الحكومي المنتظر. أي وزارة سيقبلها حتما. المهم أن يعود بريق نجمه من جديد. إنه يشتااق إلى تلك الأيام التي كانت صورته فيها تملأ الجرائد وأحاديثه وحواراته الإذاعات والفضائيات. فجأة اختفى من المشهد السياسي ولم يعد يُذكر سوى كوزير سابق. المؤسف أنه لم يعمر في أية وزارة وبالتالي لم يترك أي أثر عدا بعض التغييرات الشكلية التي يقوم بها مثل تأييث مقر الوزارة أو تحويل المدراء من مكان إلى آخر. هذه المرة حتى لو أُسندَ إليه منصب وزير دون حقيبة سيكون سعيدا به. التواجد في الطاقم الحكومي أمنيته التي لن يتخلى عنها في خريف العمر وإن كان تجاوز العقد السابع. أمر عادي جدا فأغلب رجال الدولة مكانهم الطبيعي دار العجزة، ولكن الإرادة السياسية قد تصنع المعجزات !

في اليوم الموالي وفيما كان مشغولاً بهواجسه السياسية، دخل عليه ابنه وهو قابع في مكتبه يقرأ مذكرات رجل مهم.

– شخص موفد من الرئاسة يطلب مقابلتك...

نهض بسرعة وكأنه عاد إلى ريعان الشباب. وأخيراً تذكره فخامته ! كان واثقاً بأنه رقم مهم في معادلة التسيير بالبلاد ! المهم أن يبرهن لكل الوزراء أنه رجل دولة بآتم معنى الكلمة، مهما ابتعد فإنه يعود دوماً بالعزيمة نفسها. يعتبر نفسه جندياً في خدمة الوطن المفدى.

وسرعان ما استدرك الأمر :

– موفد من عند الرئيس وتأتي عندي لتستأذن مني ؟! غريب أمرك ! دعه يدخل بسرعة ولا تتس فنجان قهوة لمستشار فخامته !

خرج الابن بخطوات مرتبكة وكله استغراب من الحيوية الكبيرة التي طرأت على والده.

ما إن دخل ناقل الأخبار السعيدة حتى هرع إليه رجل الدولة السابق مرحباً ومعبراً عن سعادته بهذه الزيارة التي طال انتظارها.

جلس مبعوث فخامته أمام المكتب بكل ثقة
وبنظرات ثابتة استطاع أن يقوم بمسح شامل للغرفة.
أدرك من خلال الصور والشهادات والكتب المتناثرة أن
رجل الدولة المتقاعد يعيش خريف عمره...

- لم يَخْفَ عليك الغليان السياسي والاجتماعي
الجاري حاليًا وما نحن فيه من اجتماعات ماراطونية
لإعلان التشكيكة الحكومية الجديدة.

- طبعًا أعرف وأنا أتابع كل الإرهاصات في
الجرائد الصادرة باللغة الفرنسية وإلى حد الساعة،
الأمور لم تستقر بعد...

- سيتم تعيينك رئيسًا للحكومة الجديدة...

لم يصدق الرجل الخبر وكاد يسقط أرضًا :

- أنا رهن إشارة فخامته وخدمة الوطن واجب
مقدس...

تأمل المبعوث ملامح رئيس الحكومة المحتمل ثم
أضاف :

- لكن الخطة تقتضي إقالتك من الحكومة بعد أسبوع من إعلانها... إنها خطة تكتيكية لامتناس غضب الشارع والتخطيط لحكومة بديلة.

- لكن الشيء الذي أعرفه أن رجل الدولة لا يستقيل ولا يقال بل يستدعى الى مهام أخرى !

- الوضع لا يسمح بتطبيق أبجديات السياسة. الظرف الراهن خطير. سيادتك شخصية وطنية معروفة ومقنعة وتهيئتك بعد أسبوع ستشغل الرأي العام الوطني والدولي، وسيعود اسمك من جديد إلى التداول عبر وكالات الأنباء الوطنية والدولية. يعني نحن نقوم بإعادة تلميعك بطريقة ذكية.

- على كل، إذا كان في الأمر فائدة للوطن ولتطلبات المرحلة فلا مانع لدي، ولكن هل هناك ضمانات لما بعد تهييتي ؟

- فخامته يخبرك بأنه سيتم تعيينك كسفير لبلادنا بجمهورية الدومينيكان.

- وأين تقع الدومينيكان ؟

- وزارة الخارجية سوف تخبرك بكل تفاصيلها. إنها بلد لا جالية لنا فيها، ولكننا نسعى إلى توطيد العلاقات الدبلوماسية معها.

- إذاً بلغ تحياتي الى فخامة الرئيس وأخبره أنني موافق على خطة الطريق الرائعة التي شرفني بها.

- الخبر يجب أن يبقى سرا إلى غاية اختيار الطاقم الحكومي بأكمله.

- إطمئن. أنت مع رجل دولة عزيزي !

رافق المبعوث الرئاسي إلى غاية مدخل قصره وعاد الى مكتبه مسرعا لكي يستعرض مع نفسه الوضع الجديد : رئيس حكومة لمدة أسبوع ثم سفير في بلد نسي اسمه في ثوانٍ.

وأخيرا ابتسمت له الأقدار ؛ سيشغل الرأى العام لمدة أسبوع كامل وأكد أنّ سيرته المهنية سوف تنشر في كلّ الجرائد والمجلات وستنظم لقاءات وحوارات عبر الأقمار الصناعية لمعرفة الوجه الجديد القادم إلى مبنى رئاسة الحكومة.

رئاسة الحكومة ستسمح له مؤقتا بالانتقام سياسيا من بعض الوزراء والإطارات السامية الذين نسوه منذ

خروجه من الوزارة في السنوات السابقة. إنها فرصة تاريخية للعودة إلى أحبّ مبنى حكومي إلى قلبه : رئاسة الحكومة حيث يقرّر مصير البلاد والعباد، مع قناعته أن أسبوعا لن يسمح له باتخاذ أي قرار.

انحاري في الطريق

– وأخيرا جاءت فرصتك. ستجد حور العين في انتظارك.

قال أمير الجماعة مبتسما...

– اطمئن سيدي. سأفجر في الوقت المناسب. فقط أرسل المال الذي وعدتني به إلى أمي فهي بأمس الحاجة إليه لتعيل به أسرتنا الفقيرة.

– أكيد أخي. أمك هي أمنا جميعا. انطلق على بركة الله. الإخوة في انتظارك لينقلوك إلى المكان الذي سترتقي فيه روحك إلى السماء لتلتقي بشهداء هذا الزمن وشهداء كل العصور. بلغهم تحياتي وأخبرهم بأن الأمير سيلتحق بهم قريبا.

غادر المكان رفقة الوفد المرافق له والحزام الناسف مثبت بطريقة جعلته يجد صعوبة في التنفس. لم يعد يعنيه الأمر. قريبا سوف لن يكون بحاجة إلى الهواء. سيتحول إلى روح طيبة تصعد إلى الجنة الموعودة.

بمجرد ما وصل، ودّعه رفقاءه على أمل اللقاء به
قريبا في الفردوس. واحد منهم فقط أوصاه بعدم
الارتباك في اللحظة الحاسمة والتفكير فيما ينتظره
هناك... عالم آخر حيث الخلود والراحة الأبدية.

السوق الأسبوعية هي المكان المستهدف. الجماعة
تبحث عن صدى كبير. لا بد من تركيع النظام. هذا
هو الهدف الأساسي. أخذ يمشي وسط الناس. لم يرَ في
ملامحهم أي نظام بل مجرد رجال ونساء وأطفال. هناك
من تعلق وجوههم الابتسامة وآخرون تسكنهم الهموم.

سيبعثون على نياتهم هذا ما يقوله الأمير دائما.
وأوصاه بأن لا يضعف في لحظة التنفيذ : هؤلاء مجرد
بيادق مختلفة يستعملها الطاغوت.

كان الجو حارا جدا. اقترب من بائع العصير وطلب
كوبا منعشا.

سيكون له موعد مع حور العين قريبا، ولكن هذا
لا يمنعه بأن يحصل على آخر نصيب له من هذه الدنيا
الفانية.

أول مرة يحس بأنه غريب عن هذا السوق. أمضى
فيه كل سنوات طفولته وشبابه. سرقة التجار كانت

هوايته المفضلة، ولما كبر، أصبحت له طاولة في ركن منه، يسرق من خلالها الناس بطريقة شبه شرعية. اليوم ستكون آخر جولة له بين أزقته، ستصعد روحه إلى السماء ويلتقي بصديقه الذي نفذ عملية مماثلة أمام مدرسة أخيرا. جاءت له فرصة الشهادة. كلُّ أصدقائه رحلوا قبله. أكيد هم الآن يتعمون في الفردوس الأعلى وهو ما زال في هذه الدنيا التي لم تعطه أي شيء. ضياع تام وفقر ومتاعب. أن يموت شهيدا أفضل بكثير من العيش في الذل والمهانة.

عليه أن يتواجد بين أكبر عدد من الناس حتى تكون الحصيلة كبيرة.

أخذ يطوف بنظراته في المكان باحثا عن تجمع بشري مُغرٍ. في الطرف الآخر من السوق أثار انتباهه متسوقون كثر يبحثون عن أسعار متدنية تمكّنهم من الشراء. غلاء المعيشة هاجسهم الدائم وأخيرا سوف يريحهم نهائيا من هذه المتاعب إذا انفجر في وسطهم. سوف يرحلون معه إلى العالم الآخر ويتخلصون من هموم الدنيا.

يختلف عنهم بأنه يعرف ما ينتظره من نعيم هناك،
أما هؤلاء فسوف يبعثون على نياتهم كما قال الأمير.
لكي يصل إلى المكان الذي قرّر أن يفجر فيه
نفسه عليه أن يقطع الطريق ليتحول إلى آخر مربع في
السوق. بدأ يحسّ بنسمات من السعادة تغمره. ما أروع
طريق الشهادة !

وفيما كان يسارع الخطى، فجأة، خرجت سيارة
مسرعة محملة بالبضائع صدمته في لمح البصر وغادر
صاحبها مخافة من انتقام الناس. اجتمع الجميع حوله
يحاولون إسعافه، ولكنه كان مغمى عليه والدماء
تنزف من فمه وجسمه.

كان في اليوم الموالي ما يزال يفكّر في الفردوس
الموعود، ولكنه لا يملك القدرة على تحريك جسمه.
فتح عينيه على الجهة اليسرى فوجد أمامه مباشرة
ممرضة فائقة الجمال. أدرك بأنه حقق مبتغاه وابتسم لها
معتبرا إياها واحدة من حور العين. نظر إلى الجانب
الأيمن ليرى المزيد وتفاعلاً برجل قوي البنية، مفتول
العضلات، يرمقه بنظرات مفزعة. تساءل في أعماق

نفسه عن هوية هذا الرجل ووجوده هناك يتعارض مع
أحلامه الجميلة.

غادرت الممرضة المكان واقترب منه الضابط
أكثر :

« هل هناك عمليات انتحارية أخرى سيقوم بها
زملاؤك في المدينة ؟ »

تأمل الرجل مليا وأدرك بأنه ما زال في هذه الدنيا
البائسة...

« لقد وقع لك حادث قبل أن تفجّر نفسك والحمد لله
ربنا حفظ الناس من شرورك. جاؤبني بسرعة هل هناك
عمليات أخرى لك علم بها ؟ »

حاول أن يقدم إجابة مقنعة، ولكنه لم يجد لديه
القدرة على التكلم. لم يكن يستطيع أن يحرك يده
لينفي علمه بأية عمليات أخرى. لم يجد يده في الخدمة.
فقد يده ورجليه في الحادث. أراد أن يرحل إلى السماء
ويأخذ معه عشرات الأرواح وفي الأخير وجد نفسه في
الدنيا ما يزال بنصف جسد وشبه ميت ولم يرحل أحد
من الناس. عادوا جميعهم إلى أعمالهم وحياتهم.

أغمض عينيه وسافر بعيدا عن المكان. لم يعد
بإمكانه سوى أن يحلم بحور العين والعوالم الجميلة
التي ضاعت منه.

القرار الأخير

وصلت أخيرا. رأها تدخل بخطواتها الساحرة. لم يكن يصدق أنها حبيبته التي كتب من أجلها أجمل القصائد. طلبته من أجل موضوع هام. لم يكن يدري سبب مكالمتها المستعجلة.

ارتشفت قليلا من العصير وقالت مبتسمة :
- آن الأوان لنفترق. لم يعد بإمكانني الانتظار أكثر. لم تمنحني إلا الحبّ والنصوص والكتابات الحاملة، وأنا امرأة تبحث عن بيت وأسرة وأولاد ورحلات. الحياة ليست حبا فقط.

أراد أن يعبر لها عن وجهة نظره في الموضوع، ولكنها نهضت وقاطعته بصوت كَلَّه تحدّ :

- لا تتعب نفسك فقد اتخذت قراري !

غادرت المكان بدون أن تلتفت إليه. تأملها بكلّ حبّ لأنّ ما فعلته سيكون أروع فكرة لقصيدة سيكتبها ذلك المساء.

أطلّ من شرفة المكان. شاهدها تركب سيارة
فارهة يقودها رجل أنيق.

المقابلة

مبدئياً، يمتلك كلّ المؤهلات التي تسمح له بأن يحصل على المنصب المعلن عنه... جلس ينتظر دوره. ليس وحده في المكان ولكن المهم أن تكون المنافسة عادلة...

عطر رائع يغزو القاعة. حسناء تخرج مبتسمة. تبدو وكأنها خرجت لتوها من إعلان إشهارى. هل تكون أقنعت اللجنة بقدراتها ؟

خرج متشائماً لأنه أحسّ بأنه غير مرحب به. بعد أيام وصلتته رسالة من نوع : « يؤسفنا أن نعلمكم بعدم قبولكم للمنصب الذي ترشحتم له. »

لم يهضم رفضه غير المبرر. انتقل إلى عين المكان ليعبر عن رفضه، ولكنه شاهد الفتاة المنافسة له تباشر عملها بكل نشاط. غيّر رأيه وقرّر أن يتحوّل الى امرأة قريباً.

حبّ فايسبوكي

بعد ليالٍ فايسبوكية رومانسية حاملة، حانت اللحظة
التاريخية الفارقة التي سيلتقي فيها بحبيبته. تسكن في
مدينة مجاورة مسافة ما يقارب الساعة.

جلس في ركن هادئ ينتظر فارسة أحلامه
الافتراضية نورة. اسمها سكن قلبه وعقله. كيف
ستكون في الواقع ؟

بعد دقائق، وقف أمامه رجل صاحب بنية مذهلة.
تفرّس فيه ملياً ثم قال له :

— نورة لن تأتي...

صُفق للأمر ونهض بكل استغراب :

-هل أرسلتك لي ؟ خير ؟ ما بها ؟

اقترب منه الرجل أكثر :

— أنا نورة يا غبي ! ارحل من هنا وكفك استهتارا

بينات الناس !

أراد أن يحتج على أكاذيب الرجل معه على الفاييس
بوك ويفهمه بأن الحبّ شعور جميل، ولكنّه فضّل
الانسحاب بصمت خوفاً على سلامته الجسدية.

السفير

لم يكن يعرف سبب اختياره كسفير : هل هو مشواره السياسي أم أنهم يريدون أن يستعملوه لغرض ما أم من أجل خطة دبلوماسية ؟ لا يذكر أنه فعل في حياته أي عمل طيب أو إنساني.

قرأ من جديد أوراق اعتماده : سفير للنوايا السيئة.

الانقلاب

انقلاب في دولة مجاورة. وزير الخارجية في مكتبه لا يدري هل يحتج أم يندد أم يعبر عن انشغاله الدائم؟ فجأة هاتفه يرن : زوجته على الخط تطلب منه أن يحجز لها في أول طائرة إلى باريس. جميل أنها اتصلت في هذا الوقت : عليه أن يعرف موقف فرنسا أيضا مما يقع. وأخيرا استقر على بيان هام وعاجل : نحن نراقب الوضع باهتمام ونؤمن بمبدأ عدم التدخل...

سلعة جديدة

ما إن دخلت المرأة الجميلة إلى غرفتها بالفندق حتى أسرع مدير الفندق إلى الاتصال هاتفيا بشرطة الآداب وطلب الضابط :

- وصلت سلعة جديدة سيدي !

- جيد لا يقترب منها أحد ! سأحضر في الحال.

بعد دقائق وصل. وجد في استقباله الراعي الرسمي...

- الغرفة رقم 555 سيدي.

أسرع إليها والرغبة تسبقه. بعد نصف ساعة، عاد

والعرق يتصبب من جبينه منتشيا :

-دعها المسكينة تسترزق عندك، إنها إنسانة طيبة

وحنون ومن عائلة فقيرة.

ما إن خرج الضابط من البهو حتى أسرع المدير الى

غرفة "الحنون" وهو مقتنع بأن الضوء الأخضر قد أعطي

للجميع ومن حقه أن ينال نصيبه قبل أن تفقد السلعة
بريقها.

الانتحار

كلّ الأبواب أغلقت أمامه. إنه ميت منذ سنوات.
البطالة أضحت شريكة حياته فأنجب منها البؤس
والفقر والأحزان.

يريد أن يدخل التاريخ ولو مرة واحدة في حياته.
انتحار استعراضي. مثل البوعزيزي، سيكون بمثابة
ظهور على مسرح الأحداث بعد مغادرة الحياة.

توجّه إلى محطة البنزين لكي يبتاع لترت تسمح له
بأن يحتفل بعيد وفاته وأن يجعل جسده شمعة تضيء ما
تبقى من أحلامه المنكوبة.

- لا يوجد بنزين. وحتى إن وجد لا يمكنني بيعك
إياه. هناك تعليمة حكومية تمنع بيعه للأفراد وهذا
لكي لا تقع حالات انتحار مثل ما حدث في الدول
المجاورة لنا.

عاد إلى بيته حزينا لأنه لم يتمكن من تحقيق حلمه
الأخير.

رائعة هذه الحكومة التي تحافظ على حياة العباد
وفي الوقت نفسه تتركهم ينتحرون ببطء بسبب
المشاكل والهموم.

الزعيم يريد أن يغرد

رمى الجريدة جانبا وأسرع في طلب مستشاره الإعلامي. وما إن وصل هذا الأخير حتى انفجر في وجهه :

– ما هذا التويتري الذي أقرأ عنه ؟

– إنه موقع تواصل اجتماعي فقط سيدي.

– ولكن، أين نحن منه ؟ أين أنت ؟ كل زعماء الساحة السياسية يغردون إلا أنا ؟ ما زلت سجين الفاييس بوك الملعون ! وإذا لم أغرد، كيف تعرف وسائل الإعلام المحلية والدولية مواقفي مما يحدث ؟!

– كنت أظنك مهتما بالندوات الصحفية المباشرة مع الصحافة سيدي.

– أي ندوات أيها المعتوه ؟ لقد تغير كل شيء الآن. من يحضرون ندواتي يعدون على الأصابع وهؤلاء، على قلتهم، يحرفون كل ما أقوله. إنه زمن النت. كل شيء

على المباشر. ما تكتبه يقرأه الملايين. القوة الرابعة
أضحت تعمل بجناحين : التويتر والفيس بوك.

- اطمئن سيدي. حالا سيكون لك حساب مميز
تغرد فيه في أي وقت : ليلا ونهارا.

- ابدأ من الآن بالتغريد مكاني. لست متفرغا
حاليا. لدي لقاء مستعجل.

- حاضر سيدي ! سأفعل ! سأعبر عن آرائك
بخصوص كل ما يحدث.

- جيد... المهم، ندّد واحتجّ وعبر عن التضامن وغيره
ولا تتسأخذ موقف معارض ضد الحكومة وضد
المعارضة وأي واحد يغرد غرداً معه أو ضده، المهم
التغريد.

خرج المستشار الإعلامي من أجل تنفيذ التعليمات
كما هو مطلوب، فوجد في مكتب الاستقبال حسناء
مميزة عطرها يملأ المكان.

وقفت تسأل بكل دلالة :

- لدي موعد مع الزعيم...

تأملها جيدا وأدرك أن المغرّد الجديد لديه اهتمامات
أخرى تساهم في ثقافته السياسية وتجعله أكثر قدرة
على التغريد.

عواطف ومشاعر

فتحت حسابها على الفاييس بوك. كالعادة طلبات صداقة كثيرة ورسائل عجز الصندوق عن احتوائها. هل كل هؤلاء يحبونها فعلا ؟ لم تكن تدري أن صورة فاتنة من موقع أنترنيت عابر بإمكانها أن تجعلها قبيلة العشاق والرجال بكل أصنافهم : المشاهير والعاديين والصعاليك والسياسيين. الكل يقف على عتبة صفحتها يطلب ودها.

التفتت إلى صديقتها في المكتب مبتسمة :

– ما زلت مطلوبة جدا عزيزتي. لم أعد أجد الوقت للردود أو التصفح.

– الرجال لا يتغيرون. أبدا مصابون بداء حب النساء سواء كان ذلك في الواقع أو على النت.

– هذا يطلب لقاءً عابرا وهذا يعرض زواجا على السريع وآخر يطلب لقاء جسديا عاصفا.

- لا تشغلي بالك بهم كثيرا. رجلٌ وَفِيَّ واحد في الواقع أفضل من مئات الافتراضيين على النت.

حانت ساعة مغادرة الشركة، أخذت طريقها المعتاد حيث ينتظرها واقع آخر من نوع خاص : المطبخ وأشغال البيت التي لا تنتهي.

لا أحد يسأل عنها أو يعاكسها في الشارع. إنها تعاني قحطا رومانسيا مزمنا في الواقع. هؤلاء الرجال كلهم مشغولون بأمور أخرى. لم تعد المرأة تشغل عقولهم... هل هم أنفسهم رجال الفاييس بوك ؟

في كلِّ مساء، تمارس سلطة مطلقة على كلِّ الرجال : تحذف هذا ولا تجيب على الآخر وتتظاهر بأنها غير موجودة. لديها عدد هائل من الصلاحيات التي تسمح لها بتعذيبهم أكثر. يمكن اعتبار مخترع الفاييس بوك الإنسان الأكثر نفاقا وكذبا منذ بداية التاريخ.

أصبحت تتلاعب بعواطف جمهور كبير من الرجال ومشاعرهم وأفكارهم. إنها تدرك أن ما يقع مجرد أكاذيب زائفة تنتهي عند أول لقاء فهي أنثى عادية جدا، لا تملك في بورصة الأنوثة إلا الاسم وأسهمها

خاسرة مسبقا. الميزة الوحيدة لما تقوم به أنها تختبر قدراتها وتكتشف ما يطلبه الرجال وما يقولونه.

ومع تطوّر الأحداث والمواقف، اكتشفت أنها تمتلك قدرات افتراضية رهيبة وخاصة حين تكون في دردشة مع عدّة رجال في الوقت نفسه. تبتم حين تكون وفيه لهم جميعا. "أحبك" الكلمة التي تكتبها للجميع. رائعون هؤلاء الرجال حين يتركون نساءهم في الواقع ويتسمرون حولها إلى غاية منتصف الليل ! كل واحد يتصوّر أنه الفارس الوحيد. وحين تتعب تقوم بالنسخ واللصق من هذا إلى آخر. عادي جدًا كلهم لديهم السيناريو نفسه : يتظاهرون بأنهم طيبون مثاليون ثم يبدأون في إرسال البطاقات والورود، ثم يكذبون الكذبة الكبيرة : أنت الوحيدة التي أعرفها وأنت أروع امرأة عرفتها في حياتي ! ثم تأتي مرحلة الهاتف بدعوى "لكي يتعرف أكثر"، ثم السكايب إن أمكن وغيرها من أجديات التعارف الفايسبوكي. وهناك فئة تصرّ على اللقاء في أسرع وقت من أجل وضع النقاط على الحروف.

في تلك الأمسية، على غير العادة، انتابها الكثير من القلق : ما الفائدة من ساعات تقضيها على الفاييس بوك بدون أي نتيجة مقنعة في الواقع ؟

و حين يسقط في غرامها رجل من الهند أو الصين أو من أمريكا، هل سيحضر إليها في اليوم الموالي ليقدم لها باقة ورد ؟ أكيد أنه يملك امرأة ملموسة ومحسوسة أمامه. كل أحلامها الوردية تنتهي بمجرد غلق جهاز الكمبيوتر وتعود إلى واقعها الأليم. فتاة دهسها قطار الزواج منذ فترة طويلة وبقيت متمسكة بخيوط دخان تتصاعد من لوحة المفاتيح.

اتخذت قرارا تاريخيا عاجلا : لن تدخل الفاييس بوك هذه الليلة !

اقتريت من مكتبتها الخاصة. تفقدت العدد القليل من الكتب التي بقيت صامدة تقاوم عزوفها عن المطالعة. فجأة تذكرت كتابا نصحتها زميلها في العمل بقراءته منذ أسبوع. لم تهتم بالأمر حينها. ولكن، لم لا تلقي نظرة على هذا الكتاب الذي سلمه لها الرجل في نهاية الدوام ؟

"موسم الهجرة الى الشمال"، رائعة الطيب صالح. لم تكن تدري أن محاسب المؤسسة لديه ميول أدبية. تتذكر تلك الرواية التي قرأتها في سنوات الجامعة. تتحدث عبر صفحاتها عن صراع الجنوب والشمال حيث يتحوّل الحبّ الى ميدان للمواجهات والبطل مصطفى سعيد ينتقل من امرأة إنجليزية الى أخرى محاولاً أن يثبت للغرب أن ابن الجنوب بإمكانه أن يغزو أجساداً ويفتح أوطاناً. اشتاقت فعلاً إلى مصطفى سعيد.

وما كادت تبدأ في قراءة الكتاب حتى سقط منه شيء ما. إنه ظرف بريدي مغلق بإحكام موجه إليها. فتحته بكلّ لهفة وكم كانت سعادتها وهي تقرأ رسالة غرامية مطوّلة من الرجل الذي لم تفكر فيه يوماً ما.

إنه شخص عادي جداً، قليل الكلام، قد يكون لا يعرف الفايس بوك والنت. يبدو شغوفاً بالزمن الجميل. لم تصدّق أنه ما يزال هناك رجال من هذا النوع. حتى إنه في آخر الرسالة طلب الإذن بالتقدم لخطبتها من أهلها.

وضعت الرسالة على صدرها واستلقت على سريرها
تحلم بغد أفضل.

وأخيرا ابتسمت لها الأقدار بعيدا عن عوالم الفاييس
بولك.

حب افتراضي

- وأخير وجدتها صديقي. هي حبيبتي التي كنت أبحث عنها !

اقترب منه بكل استهزاء وسخرية :

- أمرك غريب سليم ! هل تؤمن بحب ينمو عبر لوحة المفاتيح ؟

- ولمَ لا يا صديقي ؟ أصبحت أعرفها جيدا :
صديقة جميلة وشفافة وقريبا سأحدّد معها موعدا.
ليست بعيدة كثيرا عن مدينتنا.

- أنا لا أعترف لا بحب فايسبوكي ولا افتراضي،
أنا واقعي. حبيباتي أعثر عليهنّ في الشارع. معاكسة
بسيطة، تبادل أرقام هواتف، والباقي تعرفني جيدا.
رجل ميدان وليس مجرد كلمات وأشعار ورومانسيات.

غادر محمود صديقه بمجرد ما فتح صفحته على
الفايس بوك وتوجه مباشرة إلى منزل حبيبته الحقيقية.

وما إن ارتمى في أحضانها حتى طلب منها أن تفتح
صفحتها على الفايس بوك :

– هيا عينيّ افتحي صفحتك على الفايسبوك. أريد
أن نتسلى قليلا بصديقي سليم. إنه يقول عنك شفاقة
وصادقة.

الصدمة

العدو يقصف بقوة. وسائل الإعلام ترد بالمدفعية الصوتية، تحرّك في أعماقه كلّ تاريخ البطولات العربية. أسرع نحو أقرب ثكنة عسكرية يطالب بتجنيدده للدفاع عن الوطن. خرج إليه قائد الوحدة مترنحا ببذلة عسكرية مهترئة، صارخا في وجهه :

- عد إلى بيتك ! لم يحدث شيء ! هي مجرد

كاميرا خفية !

الحرب سنكون غدا

وقف الرئيس بلباسه العسكري يرفع معنويات
ضباطه. لا بد من الدفاع عن الوطن أمام الغزاة ! القوات
جاهزة على كل الجبهات !

دخل قصره ليودّع زوجته. وجدها في غرفة النوم.
جبهة مشتعلة لم يكن يتوقعها. أطلّ من الشرفة على
قائد قواته وصرخ في وجهه :

- عليك بمراجعة كلّ الخطة العسكرية. سندافع
عن الوطن غدا.

رئيس من الأرشيف

كان جالسا كعادته في مكتبه يقرأ مذكرات
زعماء العالم. باعتباره سياسيا متقاعدا لم يعد لديه
شيء يفعله إلا المطالعة. فجأة وصله مبعوث خاص من
قيادة الجيش، اقترب منه جيدا وقال له :

- لقد اتفق الجنرالات على تعيينك رئيسا للبلاد
فالوضع لا يتحمل الانتظار ويطلبون حضورك للتحام
حول كل الترتيبات !

نهض متثاقلا ليلبس بدلة جديدة تليق بالمنصب
الجديد.

نهاية اللعبة

أصدر بيانا يشجب فيه الوضع الحالي للبلاد،
يطالب فيه بالتداول السلمي على السلطة... الديمقراطية
هي الحلّ الأمثل.

خرج رفقة حاشيته من مقرّ الحزب. وجد عشرات
المناضلين يغلقون المدخل وأحدهم يخاطبه :

– سيدي، آن الأوان لتتنحى عن رئاسة الحزب.
عشرون سنة وأنت تعدنا بالتغيير!

مع تحيات فخامته

وقف الوزير في مدخل العمارة برفقة الوفد المرافق له :

- أيها المواطنين الأعزاء ! مبارك عليكم إدخال الغاز الى بيوتكم ! إنه حدث تاريخي كبير يجعلنا في مصاف الدول المتقدمة. إنها الرعاية السامية لفخامته. رئيس الجمهورية يحبكم جميعا.

وفيما كان ينوي المغادرة، استوقفه فقير معدم استطاع أن يخترق الوفد الرسمي :

- سيدي، أنا في حالة يرثى لها. هل يمكنني أن أكون تحت الرعاية السامية لفخامته ؟

نظر إليه الوزير بطريقة تدل على انزعاج كبير :

- أنت تحت الرعاية السامية لرئيس البلدية !

خيانة مزدوجة

نزلت زوجته من السيارة. تأكد من دخولها في العمارة. غادر المكان بكلّ اطمئنان وما إن انعطف يمينا حتى رن هاتفه النقال :

– أنا قادم حبيبتي. لقد أوصلت زوجتي البلهاء إلى الخياطة. أنا في الطريق إليك عمري.

انطلق بسرعة البرق إلى منزل حبيبته. في تلك الأثناء، كانت زوجته تخرج من العمارة لتركب سيارة عشيقها بكل فرح :

– أهلا عينيّ! وأخيرا تخلصت من زوجي المغفل...

الحرية المحاصرة

وأخيراً، تسنى له الوصول إلى المنصة. إنها فرصته التاريخية للتعبير عن موقفه السياسي مما يحدث. تأمل الوجوه المنتصبة نحوه في القاعة : المخبرون أكثر من المشاركين حتى إنّ بعضهم تقمّص دور الصحفي وقام بنقل الحدث. تقرير مصوّر أفضل من كلمات جوفاء. أحسّ أنّه بتدخّله سيساهم في ترقية هؤلاء الأوباش. غادر المكان بسرعة بعد أن قال جملة واحدة : « نحن رائعون جدّاً. كلّ دول العالم تحسدنا ! »

أمنيات بسيطة

- عاد خائبا في الظلام الدامس يجر هموم يوم قاسٍ.
تعثر بمصباح قديم على الأرض فخرج له جني عملاق :
- أطلب ما تريد سيدي أنا رهن إشارتك !
تلثم الرجل قليلا ثم استطاع أن يتكلم :
- أريد أن يكون لدي الكثير من الأصدقاء
والصديقات وأن أبدو وسيما وأحبّ عشرات النساء في
وقت واحد، وأن ألتقي بكلّ مشاهير العالم
وصعاليكه ! أريد أن أكذب ويصدقني كل الناس !
عاد الجني بسرعة الى مصباحه قائلا :
- لا تزعجني مرة ثانية. أمنياتك بسيطة. عليك
بالتسجيل في الفايس بوك فقط.

في ضيافة الوزير

الجوع مقيم أبديّ في بيته وأولاده ينتظرون كلّ مساء ما يسدُّون به رمقهم ولم يعد للحياة معنى.

بالرغم من كلّ ما قدّمه من تفاصيل حول معاناته الكبيرة، إلا أنّ الوزير كان مشغولاً باتصالاته الهاتفية الكثيرة ومراجعة بريده الهائل أمامه. يمتلك هاتفًا نقلًا مميزًا جدًا منسجمًا مع منصبه الرفيع. وضعه وواصل خطابه المستهلك. وفي الأخير وقف وعلامات الغضب بادية عليه وهو يخاطب الشاكي :

– لا يمكنني أن أفعل لك شيئًا. القائمة طويلة. انتظر سيأتي دورك حتما.

غادر المواطن المكان بكل قلق وهو يخفي في أعماقه سعادة شيطانية. هاتف الوزير في جيبه. قيمته تكفيه ليعيش أياما مستور الحال.

فجأة رن الهاتف... رد عليه بكل سرور :

– آسف لا يمكنني أن أفعل لك شيئاً. الحياة جميلة

سيدي الوزير.

الرأي القائل

« أحسن شيء تبدأ به حكمك سيدي هو أن تقتل
المعارضين لحكمك تتخلص منهم فيكونوا عبرة لكلّ
الذين انزعجوا من انقلابك الناجح. »

تأمل الجنرال الرّجل مليا وفكّر بسرعة واستقرّ
رأيه على إعدامه. إنه ذكي وقد يكون أول خطر
محتمل.

فكرة جهنمية

اجتمع الرئيس بمعاونيه :

– نحن الدولة الوحيدة التي لا تُذكَرُ في برقيات
وكالات الأنباء الدولية... لا أحد يتكلم علينا ؟

أجاب وزير الداخلية :

– لأننا نعيش استقرارا كبيرا سيدي !

– أي استقرار أيها المعتوه والبلاد تغلي يوميا ؟

أردف وزير الخارجية مبتسما :

– لدي حلّ رائع سيدي : نقطع علاقتنا الدبلوماسية

بإحدى الدّول الكبيرة ونسحب سفيرنا لديها.

– فكرة جهنمية ! أوّل مرّة أحسّ أنني وفقت في

تعيين وزير ذكي ! غدا عليك بتطبيق ما قلته !

خارج مجال النخبة

استعرض واقع القصّة والرواية. صفق الحاضرون لمداخلته المتميزة. اخترقت كلّ الصفوف ووصلت إليه وأخبرته عن مدى سعادتها بلقائه ؛ وعرف أنها قارئة لكلّ قصصه ورواياته. واصل حديثه معها حول أزمة النقد والنشر وكانت تستمع فقط ثم أهداها آخر ما صدر له. وضعت الكتاب في حقيبتها. جلس معها في ركن منزوٍ وأخبرها عن نظرتة إلى الواقع الثقافى العام ومشكل صراع الحضارات والترجمة. بقيت تنظر إليه بكل استغراب وقالت له :

« أنت مثالي جدا أستاذ... هل لديك سيارة ؟ »

قلب نظام

وجد نفسه في غرفة مظلمة بإضاءة خافتة وما كاد
يتعود على المكان حتى دخل عليه المحققون. التهمة
جاهزة : « محاولة قلب النظام. »

يعرفون جيداً أنه لا يستطيع حتى قلب طاولة مقهى.
من مجرد بائع جرائد متجول إلى معتقل خطير!
مشكلته أنه تواجد في المكان الخطأ وفي الزمن الخطأ
في تلك الأمسية سمع أصوات مظاهرات معارضة تمر
قرب بيته. خرج ليتفرّج على المشهد السياسي فوجد
نفسه يقبض عليه مع كل من وجد في الشارع، وفي تلك
اللحظة عرف الفرق الشاسع بين أن تشاهد الأخبار وأن
تكون جزءاً من الأخبار.

طائرة بدون طيار

وأخيرا تمكن من تصميم طائرة بدون طيار !
سيكون مفخرة للوطن وسوف يساهم في المنظومة
الإستراتيجية لحماية البلد. بعد اتصالات ومراسلات،
استطاع أن يظفر بمقابلة الزعيم :

- مرحبا، بلغني أنك صممت طائرة دون طيار. هذا
شيء جميل !

- نعم سيدي، أقدمها خدمة لبلدي وحماية للحدود
ونصرا على كل عدو.

نهض الزعيم من مكتبه واقترب من صاحبنا :

- أراك جدّ متحمّس يا بني. في الحقيقة، لسنا
بحاجة إلى هذا النوع من الطائرات. لدينا عدد كبير من
الطياريين وكلّ سنة نشترى طائرات من الدول
الكبرى. لا أخفي عليك أنّ مرتبتنا متقدّمة جدا بين
أكثر الدول تسليحا !

تغيرت ملامح المخترع الشاب :

- ولكن سيدي ، طائرتي اختراع وطني فريد وعلينا
أن ننافس الدول الكبرى !

عاد الزعيم إلى مكانه بكل انفعال وغضب :

- نحن دولة مسالمة لسنا بحاجة إلى فتح حروب أو
جبهات وليس لنا أعداء !

- ولكن سيدي ، ماذا سأفعل باختراعي هذا ؟

وقف الزعيم مبتسما وعيناه ترسلان بريقا عجيبا :

- الأمر جد بسيط يا بني. يمكنك إجراء تعديل
بسيط على طائرتك. فلتكن حماسة سلام لكل
الشعوب. عليك بتغييرها إلى طائرة أطفال يتم توجيهها
عن بعد وهكذا يصبح اسمك مشهورا وتباع منها
كميات للخارج ويدرك كل العالم أننا دعاة سلام.

تطبيقات

حياته كلّها أصبحت مجرد تطبيقات وهاتفه النقال أصبح أقرب إليه من حبل الوريد. تطبيق حول الصداقة وآخر حول الحبّ وآخر حول الدّراسة والأسفار وغيرها من الأمور التي لا يمكن التصديق أنها تحوّلت إلى مجرد تطبيق.

الحياة أضحت سطح مكتب ولوحة مفاتيح وهاتفنا نقالا. يعني هل كانت سنواته السابقة سرايا ؟ نهض في الصّباح الباكر بفضل تطبيق خاص، وعرف الطّقس كذلك بالطريقة نفسها توجه نحو محطة الحافلات وقد اطلع على برنامج الرحلات أيضا. وهو يتفحّص المزيد من التطبيقات، وفيما كان ينوي قطع الطريق، وجد نفسه يسقط في حفرة صرف صحي لم تكن مغطاة.

بقي متمسكا بهاتفه النقال إلى آخر لحظة... لم يجد أي تطبيق ينقذه من ورطته.

لقاء لم يكنملى

بعء أءاءىء رومانسفة فافسبوكة ءاملة؁ ءاءء ءلك اللءظة ءاءرففة ءاسمة : لقاء بفن قلبفن افءراضفن. نهضء فف الصباء الباءر. أمضء وقءا طوفلا أمام المرأة. لأبء أن ءظهر فف أبهى منظر. ءمالها هو الضامن الوءفء لءءسفء ءبها على أرض الواقع. ءءرك أن الرءال ففهمم ءءمال والقوام مهما ءظاهروا بعشق الروح.

فف الوقت نفسه؁ كان العاشق الافءراضف الولهان فءضر نفسه للقاء... لن فقف أمام المرأة. فقط سوف فراءع كل ما فقوله لها عن أءلامه ءف فراءب فف ءءسفءها. طبعا سفكون الوءء بالزواء الطعم الأول... وبعءها ءءهاطل الوءوء... كل ما فرفءه هو أن ءكون ءمفلة كما قالت ففها لا ءضع صورءها على صفءها وءقول إنفا من عائلة مءافظة.

جاءت ساعة الحسم... المكان : الحديقة العمومية.
كلّ عشاق المدينة يلتقون هنا... لا ينافسهم إلا
المتقاعدون وبعض الصعاليك...

علامتها المميزة كما قالت حقيبة يد زرقاء وخمار
أزرق. اختار مكانا معزولا يسمح له بأن يراها دون أن
تراه. دخلت فتاة جميلة جدا : قوام مدمر وابتسامة
خرافية وعينان خضراوان كأنها خرجت لتوها من
إعلان إشهاري لقناة فضائية ألمانية ! للأسف لم تكن
تحمل أية حقيبة زرقاء. يبدو أنها ليست بحاجة إلى أية
لمسة جمالية إضافية. يكفيها الجمال الطبيعي. على
كلّ سينتظر فارسة أحلامه الموعودة.

بعد دقائق، دخلت الحديقة فتاة جديدة : ميزتها
ماكياج كثير وعيناها زائعتان من هنا إلى هناك
وتحمل حقيبة سفر سوداء. واضح أنها مستعدة لكلّ
العروض...

كاد يفقدُ الأمل في ظهورها. وفجأة دخل الحبّ
الافتراضي يمشي على رجليه، يحمل حقيبة يد زرقاء
ويضع خمارا أزرق. قام بمسح شامل لها : قصيرة جدا
وقوام يشبه عمارة في طريقها للسقوط... هل فعلا هي
نفسها صاحبة الكلمات الرومانسية ؟ هل هي صاحبة

القلب الحنون التي سهر معها الليالي ؟ يعني من كلّ نساء الفاييس بوك هذه نصيبه ؟

حاول أن يقترب أكثر حتى يكتشف ربما ما يشجّعه على لقاءها ، ولكن زادت صدمته أكثر : ليست لها أيّة قيمة جمالية... امرأة فقط.

صوت داخلي في أعماقه كان يقول له : « لا تظلمها ! هي إنسانة قبل كل شيء. ستجد فيها الطيبة والصدق والوفاء والجمال زائل لا محالة. »

ولكن صوتا أعنف كان يهز كيانه في الوقت نفسه :

« ولكن لِمَ تضيع حياتك معها ؟ ستجد الأفضل بكثير ! وهي ستتعب قليلا ، ولكنها ستجد رجلا ملائما لها. »

غادر المكان بسرعة هاربا بجلده وروحه.

سئمت من الانتظار...قد يكون حدث له طارئ منعه من الحضور... لقاء لم يكتمل... كانت تتصوّر أنها وجدت الحبّ المفقود.

حملت حقيبتها الزرقاء وعادت إلى البيت خائبة...
أسرعت إلى الجهاز تفتحه لتطمئن على حبيبها وكم
تأثرت بالصدمة الثانية... لقد حذفها من قائمته.

لقاء بعد سنوات

قاعة الانتظار مكتظة. الكل يترقب الصعود إلى الطائرة عائلات، أفراد كل فئات المجتمع في هذه المساحة الضيقة. أخذ يتأمل الوجوه المختلفة وفي الوقت نفسه، يراقب ابنه الذي كان يلعب بكرته غير مبالي بالوضع في حين كانت زوجته منشغلة بالرضيع.

طفل ظهر فجأة وبدأ اللعب مع ابنه وماهي إلا لحظات حتى ظهرت امرأة وبسرعة سحبت طفلها الذي كان مع ابنه... ملف من الماضي يفتح بذاكرته : إنها هي حبيبته نسرين. لم تتغير ملامحها كثيراً. كانت قصة حب كبيرة انتهت بسبب عقول صغيرة. لاحقها بنظراته. جلست بجوار رجل يقرأ جريدة... زوجها بكل تأكيد. تبدو عليها ملامح السعادة...

فعلا الحياة تستمر...قد يكون الفراق مؤلماً، ولكن الأيام دوما تعطي لكل واحد نصيبه.

نناقض

كان رائعا جميلا ومتفهما وعلاقته معهم جميعا متميزة : يطمئن عليهم برسائل يومية وصديق مميز على الفاييس بوك ولا تصمد أمامه أية امرأة فيسارع إلى طلب صداقته كل من يقرأ حروفه.

أغلق حسابه على الفاييس بوك وأغلق الجهاز. خرج من غرفته متجهما وصارخا في الجميع. الزوجة والأولاد يعتبرونه وحشا كاسرا لا يعرف إلا إعطاء التعليمات والتذمر. لا يقول أية كلمة طيبة فقط الكلام الجارح. حتى في الحيّ حيث يسكن أو في مكان عمله يعتبر مصدر إزعاج للجميع.

الفهرس

9.....	تقديم
13.....	قبل انتهاء العمر
16.....	الوداع الأخير.
18.....	الشبكة
30.....	مناضل تحت الطلب
35.....	الساعات الأخيرة للرئيس
45.....	رجل دولة
53.....	انتحاري في الطريق
59.....	القرار الأخير.
61.....	المقابلة
62.....	حبّ فايسبوكي
64.....	السفير.
65.....	الانقلاب
66.....	سلعة جديدة
68.....	الانتحار
70.....	الزعيم يريد أن يغرد.
73.....	عواطف ومشاعر.
79.....	حب افتراضي.

81.....	الصدمة
82.....	الحرب ستكون غدا
83.....	رئيس من الأرشيف
84.....	نهاية اللعبة
85.....	مع تحيات فخامته
86.....	خيانة مزدوجة
87.....	الحرية المحاصرة
88.....	أمنيات بسيطة
89.....	في ضيافة الوزير
91.....	الرأي القاتل
92.....	فكرة جهنمية
93.....	خارج مجال التغطية
94.....	قلب نظام
95.....	طائرة بدون طيار
97.....	تطبيقات
98.....	لقاء لم يكتمل
102.....	لقاء بعد سنوات
103.....	تناقض
105.....	الفهرس

